رسالة الغريب الى الحبيب

تأليف

أحمد أبو عصيدة البجائي

المتوفى حوالى 865 هـ

تعريف وتعليق وتلخيص

أبو القاسم سعد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

عندما ينتهي القارىء من قراءة ما كتبناه عن (رسالة الغريب) قد يسأل نفسه: لماذا لم يترجم مؤرخو الرحلات والأدب لحياة مؤلفها أبي عصيدة البجائي في كتب التراجم والطبقات. ذلك أن البجائي لم يكن نكرة بين علماء وأدباء القرن التاسع الهجري (15 م). لقد كان معروفاً لبعض علماء تونس ومصر والحجاز والشام. وقد امتلأت كتب التراجم بمغمورين لا نكاد نجد لهم مشاركة في مجريات عصرهم. إننا لا نعتقد أن البجائي قد أهمله معاصروه، ولكننا نعتقد أن ترجمته قد تكون ضاعت فيما ضاع من التراث.

إن النبذة التي سقناها نحن عن حياة البجائي إنما ساقها هو نفسه في رسالته. وهي حياة رجل هارب، فيما يبدو، من ظلم الإنسان إلى رحمة الله، ومن الشقاء البدني إلى السعادة الروحية، إنه فارق الأهل والأوطان في ظروف لا نعرف عنها إلا القليل، ورضي بجوار الرسول (ﷺ) معوضاً بذلك ما فقده من أهل ووطن. لا نعرف أن للبجائي أسرة وولداً، ولا وظيفة علمية في بلاده، ولا جاهاً سلطانياً. لم يكن هروبه في نظرنا هروباً سياسياً

كما فعل ابن خلدون، ولا إرضاء للطموح والمجد كما فعل أبو الفضل المشدالي. لقد كان هروب البجائي ابتعاداً عن فوضى السياسة والمنافسات القبلية واضطراب الأحوال الاجتماعية في الدولة الحفصية التي كانت تحكم تونس والشرق الجزائري - بما في ذلك بجاية - والظاهر أنه لم يجد راحته أيضاً في مصر المملوكية، ولذلك توجه، في رحلتين متباعدتين، إلى الحرمين الشريفين حيث جاور واستقر راضياً مطمئناً.

وقد كان في الإمكان أن لا نعرف عن البجائي شيئاً لولا الرسالة المطولة التي بعثها من المدينة المنورة إلى صديقه أبي الفضل المشدالي بالقاهرة. وهي الرسالة التي تنقلت بين أيدي النساخ حتى وصلت إلينا منها نسخة شريطية من إحدى المكتبات الأمريكية، وليس على هذه النسخة الوحيدة اسم لناسخ ولا تاريخ النسخ وإنما عليها فقط اسم بعض المالكين لها. وإذا كان من المفضل في التحقيق الرجوع إلى أكثر من نسخة، فنحن لم نستطع الوصول حتى إلى النسخة الوحيدة التي ذكرناها. فالمسافة بيننا وبين أمريكا بعيدة وفرص السفر إليها قليلة وصورة الشريط لم توضح كل الأسطر وكل الفقرات. فهل كان علينا أن ننتظر إلى أجل غير مسمى ليعرف الناس شيئاً عن أبي عصيدة البجائي ورسالته؟.

لقد لجأنا إلى نشر ما يمكن نشره عن حياة وكتاب البجائي، ونحن نعرف أن الانتظار قد يكون هو أحد الطرق التي يراها بعض الباحثين، وقد فكرنا في طلب استنساخ (رسالة الغريب) باليد من أحد النساخين بأمريكا، ولكن أتى لنا ذلك مالاً وخبرة

على هذا التراث قد هدانا إلى ثروة هائلة تعرضنا إلى بعضها في كتابنا تاريخ الجزائر الثقافي، ونعتقد أنه ما يزال في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا، كما يقول القدماء. وعلى الجيل الجديد أن يواصل البحث عن تلك الخبايا والبقايا.

الجزائر في 3 أكتوبر 1992

أبو القاسم سعد الله

جامعة الجزائر

عضو مجمعي اللغة العربية

في القاهرة ودمشق

كان اجتهادنا إذن أن نكتب خلاصة عن الرسالة، وأن نورد نصوصاً منها مساقة بدون تدخل منا إلا في القليل، وأن نذكر شيئاً عن حياة المؤلف وحياة المشدالي الذي وجهت إليه الرسالة، مع إلمامة بالعصر. وقد ارتأينا في البداية نشر هذا العمل المختصر في شكل بحث في دورية لعل أصحاب المخطوطات يفاجئونا بنسخة مطمورة من (رسالة الغريب). ولكن البعض رأى نشر الرسالة في كتاب باعتبار المختصر يقدم زبدتها، في انتظار العثور على نسخة أخرى أو على استنساخ النسخة الأمريكية كاملة.

بقي أن نذكر أن البجائي كان ينظم الشعر وكان يحفظ منه الكثير، كما كان له ذوق أدبي سليم. يظهر ذلك في إنشاداته ومختاراته الشعرية، ويظهر أيضاً في حرصه على جمع شعر صديقه المشدالي، الذي يقول عنه أنه كان مقلاً فيه. وهناك ملاحظة أخرى نشير إليها وهي عبارة (الغساني) الواردة في النسبة بعد البجائي. وقد سألنا ما إذا كانت هناك قبيلة غسانية بنواحي بجاية اليوم فلم يدلنا أحد على ذلك. ومن عبارة البجائي نعرف أنه ذو صلة وطيدة بعائلة المشدالي التي لا نعرف أنها (غسانية) الأصل، أما أحمد أبو عصيدة فقد قال عن نفسه أنه (بجائي المنشأ والدار، غساني الأصل). فهل يشير بذلك إلى الغساسنة ملوك الشام؟.

ولا يسعنا إلا أن نختم هذه المقدمة بالتنويه بما للجزائر من تراث عربي إسلامي ضاع بعضه، وانتقل بعضه إلى مناطق أخرى من العالم وما يزال غير معروف. وقد كان البحث المتواصل

المحتوى

مقدمة 5
1 ـ المخطوط 15
2 ـ أبو عصيدة البجائي 18
3 ـ عصر أبي عصيدة 21
4 ـ وصف كتاب (أنس الغريب وروض الأديب) للبجائي 25
5 ـ ترجمة أبي الفضل المشدالي 30
6 ـ أقسام (رسالة الغريب) 34
7 ـ خلاصة (رسالة الغريب) 40
* أبيات من قصيدة افتتاحية للبجائي 42
* ديباجة الرسالة 43
* معاتبة بين البجائي والمشدالي 45
* البجائي يتذكر اجتماعه بالمشدالي بالقاهرة 46
* ويصف رحيله من القاهرة ووصوله إلى الحجاز 50
* ويعدد الرسائل التي أرسلها إلى المشدالي، ويصف حمى أصابته . 52
* ويصف شوقه إلى أخبار المشدالي وجفاءه له 54
* عتاب البجائي للمشدالي 57
* وعد المشدالي بزيارة المدينة المنورة بعد مكة المكرمة والقدس 60
* البجائي يتحدث عن تدريسه بعض كتب الحديث في المسجد النبوي 63
* قصيد للبجائي في المديح النبوي ثم في مدح الأمير الحفصي: أبي عمرو عثمان 66

* رسالة حملها الشيخ أحمد القروي التونسي إلى البجائي تلومه على طول المجاورة 70
* رد البجائي على رسالة اللوم على طول المجاورة 71
* وصفه لرحلته الأولى إلى الحجاز وعودته إلى تونس ثم الرجوع منها فوراً إلى الحجاز 72
* متابعة الرد على رسالة اللوم 75
* البجائي يصف حالته عند وصول رسالة المشدالي إليه 79
* ويعاتبه على عتابه 80
* تسميط البجائي لأبيات المشدالي 85
* وتعليقه على نفس الأبيات 86
* ويطلب من المشدالي إمداده بأشعار ليحلي بها ترجمته له ... 88
* البجائي يصف كتابه (أنس الغريب) ومحتوى مقدمته وفصوله . 88
* البجائي يصف اختلاف رأي بعض علماء الحجاز في الترجمة التي كتبها لِلْمشدالي 93
* البجائي يصف دوافع رسالته إلى المشدالي ويطلب منه الجواب عليها 97
ـ مصادر التحقيق 99
ـ الفهارس 101
ـ المحتوى 103

(*) تنبيه: رغم حرصنا على وضع الهمزة في موضعها من المتن، فإننا لاحظنا أنها لم تكن كذلك في كل الحالات. فترجو المعذرة.